الفصل الرابع

ذكر النصوص والآثار الواردة في مصنفات أئمة العلم فيمن خضب بالسواد من الصحابة والتابعين والمحدثين والفقهاء في القرون الأولى

بعد الانتهاء من مناقشة الأدلة التي استدل بها صاحب رسالة الإتحاف على منع الخضاب بالسواد وبيان بطلان دعواه بثبوت بضعة عشر حديثاً في ذلك بعد الانتهاء من ذلك كله: أعرض على أنظار القراء الكرام ما ذكره أئمة العلم في مصنفاتهم مما يدل على جواز الخضاب بالسواد ومن كان يخضب به من خيار هذه الأمة، ومنهم من شهد النبي ﷺ لهم بالجنة.

وإليك بيان ذلك:

أولاً: ما جاء في مصنف ابن أبي شيبة من خضاب بعض الصحابة وبعض التابعين بالسواد:

قال ابن أبي شيبة في مصنفه تحت عنوان: (من رخص في الخضاب بالسواد): حدثنا أبو بكر بن عياش عن عبد العزيز بن رفيع عن قيس مولى خباب. قال: دخلت على الحسن والحسين وهما يخضبان بالسواد. حدثنا وكيع عن عمرو بن عثمان قال: رأيت موسى[1] بن طلحة يخضب بالوسمة[2]. حدثنا: وكيع عن عبد الله بن عبد الرحمن بن موهب قال:

---

(١) موسى بن طلحة بن عبيد الله توفي سنة ١٠٣ وكان ثقة كثير الحديث، وذكر ابن سعد خضابه بالسواد أيضاً في الطبقات وسيأتي في ج ٥ ص ١٦٣.

(٢) والوسمة تجعل المصبوغ بها أسود فاحماً كما ذكره ابن القيم وغيره في زاد المعاد ج ٣ ص ١٨٣.

رأيت نافع[1] بن جبير يخضب بالسواد. حدثنا: ابن علية عن ابن عون قال: كانوا يسألون محمد عن الخضاب بالسواد. فقال: لا أعلم به بأساً. قال: حدثنا وكيع وابن مهدي عن سفيان عن سعد بن إبراهيم عن أبي سلمة[2] أنه كان يخضب بالسواد.

حدثنا ابن نمير عن إسرائيل عن عبد الأعلى قال: سألت ابن الحنفية عن الخضاب بالوسمة فقال: هي خضابنا أهل البيت. حدثنا: وكيع عن سفيان عن حماد عن إبراهيم قال: لا بأس بالوسمة إنما هي بقلة[3].

قال: حدثنا حفص عن محمد بن إسحاق قال: كان أبو جعفر يختضب بثلثي حناء وثلث وسمة.

قال: حدثنا شبابة. قال: حدثنا ليث بن سعد، قال: حدثنا أبو عشانة المعافري قال: رأيت عقبة بن عامر يخضب بالسواد ويقول: نسود أعلاها وتأبى أصولها.

قلت: وخضاب عقبة بن عامر رضي الله عنه بالسواد جاء بأسانيد صحيحة ثابتة رواه ثقات عن ثقات ومن تلك الأسانيد الصحيحة هذا السند الذي رواه ابن أبي شيبة في مصنفه. فشبابة ثقة حافظ، وليث بن سعد ثقة لا يحتاج إلى تعريف. وأبو عشانة ثقة.

وأما قول صاحب رسالة الإتحاف بأن (تسويد عقبة يحمل على

---

(١) توفي نافع بن جبير سنة ٩٩ ـ في خلافة سليمان بن عبد الملك وروى عن أبي هريرة وغيره، وكان ثقة أكثر حديثاً من أخيه، وذكر خضابه بالسواد أيضاً ابن سعد في الطبقات وغيره ج ٥ ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧.

(٢) توفي أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف بالمدينة سنة ٩٤ هـ وكان ثقة فقيهاً كثير الحديث روى عن أبيه وزيد بن ثابت وجمع كثير من الصحابة وقد جاء خضابه في كثير من مصنفات أئمة العلم أنظر طبقات ابن سعد ج ٥ ص ١٥٦ ـ ١٥٧.

(٣) قال محققه النووي: أخرجه في جامع المسانيد ٢/ ٣١٠ من طريق الإمام أبي حنيفة عن إبراهيم.

تسويد الدهمة) فقول مخالف لما جزم به أئمة العلم بأنه كان سواداً. ولا أدري من أين له ذلك ولم أرَ أحداً من أئمة العلم قال بأن من خضب من الصحابة والتابعين بالسواد يحمل على تسويد الدهمة. وصاحب الرسالة مضطرب فتارة ينفي خضابهم بالسواد مطلقاً وتارة يثبته وتارة يؤوله بالدهمة..

قال ابن أبي شيبة: حدثنا ابن يمان عن أبي صالح عن عبد الأعلى عن ابن الحنفية قال: كان يختضب بالوسمة. انتهى. من مصنف ابن أبي شيبة[1].

ثانياً: ما جاء في مصنف عبد الرزاق:

جاء في مصنف عبد الرزاق بأسانيد صحيحة خضاب الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب رضي الله عنهم. بالسواد. وخضاب الزهري بالسواد. وإليك نص ما جاء فيه:

قال عبد الرزاق في مصنفه:

عن معمر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن اليهود والنصارى لا تصبغ فخالفوهم»[2]. عن معمر عن الزهري قال: أمر النبي ﷺ بالإصباغ فأحلكها أحب إلينا، يعني أسودها[3].

عن معمر عن الزهري قال: كان الحسين بن علي يخضب بالسواد. قال معمر: رأيت الزهري يغلف بالسواد، وكان قصيراً[4].

---

(١) انظر هذه الآثار من الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار ج ٨ ص ٤٣٦ ـ ٤٣٧ ـ ٤٣٨ للإمام الحافظ ابن أبي شيبة المتوفي سنة ٢٣٥ هـ.

(٢) انظر مصنف عبد الرزاق ج ١١ ص ١٥٤.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق ص ١٥٥.

عن معمر عن الزهري قال: كان الحسن بن علي يخضب بالسواد[1]. انتهى. من مصنف عبد الرزاق.

ثالثاً: ما جاء في مسند الإمام أحمد بن حنبل من خضاب الحسين والزهري بالسواد.

قال الإمام أحمد: ثنا حسين، ثنا جرير عن محمد عن أنس (رضي الله عنه) قال: أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين رضي الله تعالى عنه فجعل في طست. فجعل ينكت عليه، وقال في حسنه شيئاً، فقال أنس: إنه كان أشبههم برسول الله ﷺ، وكان مخضوباً بالوسمة. انتهى[2]. قلت: والوسمة تجعل الشعر المخضوب بها أسود بأجماع أقوال الأئمة وقال ابن القيم إنها تجعل المصبوغ بها أسود فاحماً، وقد تقدم.

خضاب الزهري بالسواد كما جاء في مسند الإمام أحمد بالسند الصحيح.

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق نا معمر وعبد الأعلى عن معمر عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم». قال عبد الرزاق في حديثه: قال الزهري: والأمر بالإصباغ. فأحلكها أحب إلينا[3]. قال معمر: وكان الزهري يخضب بالسواد[4].

---

(١) المرجع السابق ص ١٥٦، قال حبيب الرحمن الأعظمي في تعليقه على المصنف: وقد ثبت أن كلا الأخوين كانا يخضبان بالسواد.

(٢) انظر مسند الإمام ج ٣ ص ٢٦١، ومعنى الحديث أن رأس الحسين رضي الله عنه كان مصبوغاً بالسواد عند استشهاده رضي الله عنه وقد رآه أنس كذلك فدعوى عدم صبغ الحسين بالسواد ظاهر البطلان بهذا النص الصحيح والنصوص الصحيحة المتقدمة وما سيأتي أيضاً من النصوص.

(٣) قال في بلوغ الأماني: معناه أن الزهري يقول: إن في هذا الحديث معنى الأمر بالإصباغ فأفتيك بحلها وفعلها أحب إلينا من تركها والله أعلم. انتهى.

(٤) انظر الفتح الرباني بترتيب مسند الإمام أحمد ج ١٧ ص ٣١٦.

حدثنا أبو القاسم بن أبي الزناد عن الزنجي قال: رأيت الزهري صابغاً رأسه بالسواد. انتهى[1]. ما جاء في مسند الإمام أحمد.

قلت: وخضاب الزهري بالسواد أمر ثابت في مصنفات أئمة العلم بأسانيد صحيحة، وأما استدلال صاحب الرسالة بالأثر الذي رواه ابن سعد في الطبقات عن عبد الوهاب بن عطاء قال أخبرنا راشد أبو محمد الحماني عن رجل عن الزهري قال: مكتوب في التوراة: ملعون من غيرها بالسواد يعني اللحية[2]. فالاستدلال بهذا الأثر على أن الزهري لم يخضب بالسواد غير مقبول لما يأتي:

١ ـ إن هذا الأثر لم يثبت قطعاً عن الزهري لأنه يرويه عن الزهري رجل مجهول غير معروف. والغريب أن صاحب الرسالة يستدل به مع اعترافه بعدم وقوفه على الرجل المجهول المبهم فيه.

٢ ـ أن في سنده عبد الوهاب بن عطاء الخفاف. قال الذهبي: وروى الميموني عن أحمد: (ضعيف الحديث مضطرب)[3] وقال البخاري في الضعفاء الصغير: عبد الوهاب بن عطاء الخفاف: ليس بالقوي عندهم[4].

وقال النسائي: عبد الوهاب بن عطاء الخفاف أبو نصر: ليس القوي[5]. وفي سنده أيضاً راشد أبو محمد الحماني.

٣ ـ مما يدل على بطلان نسبة هذا الخبر إلى الزهري: قوله: (مكتوب في التوراة ملعون من غيرها بالسواد).

فكونه مكتوباً في التوراة دليل على أنه غير ملزم لنا وليس شرعاً

---

(١) المرجع السابق ج ١٧ ص ٣٢٠.

(٢) الطبقات الكبرى ج ١ ص ٤٤١.

(٣) انظر ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٦٨١.

(٤) كتاب الضعفاء الصغير ص ٨٠ مطبوع مع كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي.

(٥) الضعفاء والمتروكين ص ٢٠٨.

لنا لأن شرعنا جاء بخلاف ذلك جاء بالأمر بالصبغ مطلقاً مخالفة لأهل التوراة. وأهل التوراة لا يصبغون مطلقاً لا بالسواد ولا بغيره. والزهري هو الذي روى حديث أبي هريرة المتفق عليه (إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم) ثم قال: والأمر بالإصباغ فأحلكها أحب إلينا، يعني أسودها. كيف يقول بعد هذا: مكتوب في التوراة ملعون من غيرها بالسواد. وهو يعلم أن أهل التوراة لا يصبغون وأن شرعنا جاء بخلافهم في ذلك. إن رد الآثار الصحيحة الثابتة بهذا الأثر الذي ينسب إلى الزهري عن طريق رجل مبهم غير معروف أمر منكر وخروج عن المنهج العلمي الصحيح. ومخالف لقول صاحبنا: لا يجوز الاستدلال بالخبر إلا بعد ثبوته بسند معتبر شرعاً، وأين السند المعتبر شرعاً في هذا الخبر؟.

رابعاً: ما جاء في كتاب العلل للإمام أحمد بن حنبل رواية ابنه عبد الله عنه فيمن كان يخضب بالسواد من المحدثين والفقهاء:

ذكر الإمام أحمد رحمه الله عدداً من المحدثين ممن كان يخضب. ولم ينص على نوع الخضاب الذي كانوا يخضبون به في الأغلب بل اكتفى بقوله: كان فلان يخضب... إلا أنه نص على خضاب بعضهم بأنه بالسواد، وممن ذكر خضابه بالسواد: الوليد بن مسلم. وعباد بن العوام، وأبو الوليد[1]. وفي سير أعلام النبلاء بعض من ذكرهم الإمام أحمد أنه رآهم يخضبون بالسواد من المحدثين والفقهاء هم: جرير بن نمير، وغندر بن فضيل البرساني، وعبد الرزاق، وعباد بن عباد بن أبي زائدة، والوليد بن مسلم[2].

خامساً: ما جاء في صحيح البخاري من خضاب الحسين بالسواد.

---

(١) انظر كتاب العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد ج ١ ص ٢٠٩ تحت عنوان من خضب من المحدثين.

(٢) انظر سير أعلام النبلاء ج ٨ ص ٢٦٠.

قال الإمام البخاري: حدثني محمد بن الحسين بن إبراهيم. قال حدثني حسين بن محمد، حدثنا جرير عن محمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أتى عبيد الله بن زياد برأس الحسين بن علي فجعل في طست فجعل ينكت. وقال في حسنه شيئاً، فقال أنس: كان أشبههم برسول الله ﷺ، وكان مخضوباً بالوسمة. انتهى[1]. قلت: ويؤكد خضاب الحسين بالسواد البحت كما جاء في مسند الإمام أحمد وصحيح البخاري من خضاب الحسين بالسواد عند استشهاده: ما ذكره البغدادي في خزانة الأدب في قصة خروج الحسين إلى العراق ولقائه بعبيد الله بن الحر الجعفي في قصة طويلة، قال ابن الحر: (دخل على الحسين رضي الله عنه ـ ولحيته كأنها جناح غراب، ولا رأيت أحداً أحسن ولا أملأ للعين من الحسين، ولا رققت على أحد رقتي عليه حين رأيته يمشي والصبيان حوله). إلى أن قال... (ثم خرج الحسين من عنده وعليه جبة خز وكساء وقلنسوة موردة، قال: ثم أعدت النظر إلى لحيته فقلت: أسواد ما أرى أم خضاب؟ قال: يا ابن الحر عجل عليّ الشيب، فعرفت أنه خضاب)[2].

سادساً: ما جاء في الطبقات الكبرى لابن سعد:

ذكر ابن سعد في الطبقات ممن كان يخضب بالسواد من الصحابة والتابعين من أسرد نصوصه فيهم فيما يلي:

خضاب سعد بن أبي وقاص بالسواد.

قال ابن سعد: أخبرنا هشام أبو الوليد الطيالسي، قال: أخبرنا ليث بن سعد عن محمد بن عجلان عن نفر قد سماهم أن سعداً كان يخضب بالسواد[3]. قلت: هذا السند صحيح يرويه ثقة عن ثقة فهشام

(١) انظر صحيح البخاري ج ٤ ص ٢١٦ باب مناقب الحسين. وقد جاء خضاب الحسين بن علي رضي الله عنه بالسواد في سير أعلام النبلاء للذهبي. انظر ج ٣ ص ٢٦٨.

(٢) نقل هذا من خزانة الأدب للبغدادي وعن الطبري: عبد المعين ملوحي في كتابه أشعار اللصوص وأخبارهم ص ١٧٥ ـ ١٧٦ الطبعة الأولى ١٩٨٨ م.

(٣) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ١٤٢.

أبو الوليد ثقة ثبت حافظ، وليث بن سعد إمام حافظ ثقة ثبت. وأما محمد بن عجلان الذي حاول صاحب الرسالة الطعن فيه بقوله: (قد اختلط) فهو ثقة ثبت وإليك ما قاله أئمة هذا الفن فيه:

قال صالح ابن الإمام أحمد عن أبيه: ثقة، وقال عبد الله بن أحمد عن أبيه، سمعت ابن عيينة يقول: حدثنا محمد بن عجلان وكان ثقة، وقال أيضاً: سألت أبي عن محمد بن عجلان وموسى بن عقبة فقال جميعاً ثقة. وقال إسحاق بن منصور عن ابن معين ثقة وقدمه على داود بن قيس الفراء وقال الدوري عن ابن معين: ثقة أوثق من محمد بن عمر وما يشك في هذا أحد. وقال أبو زرعة: ابن عجلان من الثقات، وقال أبو حاتم والنسائي: ثقة. انتهى[1].

وأما عن الاختلاط الذي ذكره مؤلف الرسالة: فليس كما أبهمه وإنما هو في أحاديث سعيد المقبري عن أبي هريرة. فقط وليس في هذا الحديث وأمثاله قال يحيى القطّان عن ابن عجلان: كان سعيد المقبري: يحدث عن أبي هريرة وعن أبيه عن أبي هريرة وعن رجل عن أبي هريرة فاختلطت عليه فجعلها كلها عن أبي هريرة. ولما ذكر ابن حبان في كتاب الثقات هذه القصة، قال: ليس هذا بوهن يوهن الإنسان به لأن الصحيفة كلها في نفسها صحيفة، وربما قال ابن عجلان عن سعيد عن أبيه عن أبي هريرة. فهذا مما حمل عنه قديماً قبل اختلاط صحيفته[2]. . .

هذا هو الاختلاط الذي أبهمه صاحبنا ليطعن به في هذا السند الثابت عن طريق الثقات في خضاب سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بالسواد.

أما قول صاحب الرسالة بأن محمد بن عجلان قد أبهم بعض

(١) انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ج ٩ ص ٣٤١ ـ ٣٤٢.
(٢) المرجع السابق.

سنده. فليس بصحيح. فإن ابن عجلان لم يبهم بعض السند وإنما الذي سكت عن ذكر من سماهم ابن عجلان هو ليث بن سعد لأن ليثاً يقول: عن نفر قد سماهم. فقد ذكرهم محمد بن عجلان لليث وسكت ليث عن ذكر أسماء أولئك النفر وليث ثقة. فاتهام ابن عجلان بأنه قد أبهم بعض من في سند هذا الأثر الثابت وتضعيفه لأجل ذلك اتهام منكر وخروج عن المنهج السليم. وإذا كنت قد ضعفت هذا الأثر الذي جزم أئمة العلم بثبوته وصحة سنده ـ لكون محمد بن عجلان قد أبهم بعض من في سنده كما زعمت، فكيف استدلالك بالآثار الباطلة التي جزم أئمة العلم بضعفها وعدم ثبوتها كمرسل الشعبي الذي جزم السيوطي بضعفه والشيخ ناصر الألباني من بعده. وهذا الأثر الضعيف الذي اعتبرته الحديث التاسع من الأحاديث التي زعمت بثبوتها عن رسول الله ﷺ مع اعترافك بأنه ضعيف[1].

ثم استدلالك في ص ٢٨ من رسالتك: (أنه سئل الشعبي عن الخضاب بالوسمة فكرهه). هذا الأثر أيضاً ضعيف ولكن استدللت به وقلت: (بسند فيه مقال لكن يشهد له ما رواه الشعبي)، ولا أدري كيف يكون كلام الشعبي شاهداً لما رواه. علماً بأن ما رواه ضعيف وكلامه لم يثبت عنه بسند صحيح.

واستدلالك بأثر فرقد السبخي وأثر الزهري المتقدم الكلام عليه وأثر مجاهد وغيرها من الآثار الضعيفة التي لم يثبت منها شيء عمن روى عنه وأنت معترف بهذا بقولك في بعضها (وفي سنده أبو رباح لم أقف عليه) (وفيه رجل لم يسم)[2] إلى آخر كلامك.

قال ابن سعد: أخبرنا إسماعيل بن عبد الله بن أبي أويس، قال: أخبرنا عبد العزيز بن المطلب عن يونس بن يزيد الإيلي عن ابن شهاب عن

---

(١) انظر رسالته ص ٢٠ وانظر ص ٨ ـ ٢٥ ـ ٩٦ ـ ١٠٩ ـ ١٣٨ لادعاء ثبوت هذه الأحاديث الباطلة عن رسول الله ﷺ.

(٢) انظر رسالتك ٢٦ ـ ٢٧ ـ ٢٨ لتعرف غرائبك.

سعد بن أبي وقاص: أنه كان يصبغ بالسواد.

أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني بكير بن مسمار عن عائشة بنت سعد قالت: كان أبي رجلاً قصيراً دحداحاً غليظاً، ذا هامة شثن الأصابع أشعر، وكان يخضب بالسواد[1].

قلت: وخضاب سعد بن أبي وقاص جاء في كثير من مؤلفات أئمة هذا الفن ففي المستدرك رواه الحاكم من طريق يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب. ويونس بن يزيد قال الذهبي: يونس بن يزيد الإيلي صاحب الزهري ثقة حجة، وشذ ابن سعد في قوله: ليس بحجة. وشذ وكيع فقال: سيء الحفظ[2]. انتهى.

وذكر خضاب سعد أيضاً بالسواد البغوي في شرح السنة وابن القيم في زاد المعاد والحافظ ابن حجر في الفتح والهيثمي في مجمع الزوائد وغيرهم من أئمة العلم كما سيأتي ذكره عند ذكر نصوصهم.

ما جاء في الطبقات من خضاب أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف بالسواد وغيره من التابعين:

قال ابن سعد: أخبرنا معن[3] بن عيسى وعبد العزيز بن عبد الله الأويسي[4] قالا: حدثنا إبراهيم بن سعد بن إبراهيم عن أبيه أنه رأى أبا سلمة[5] يصبغ بالوسمة.

---

(١) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ١٤٢ ـ ١٤٣ طبعة دار صادر.

(٢) انظر ميزان الاعتدال ج ٤ ص ٤٨٤ وكلام صاحب الرسالة ليس صحيحاً في يونس بن يزيد.

(٣) معن بن عيسى قال الحافظ: أحد أئمة الحديث. وقال أبو حاتم أثبت أصحاب مالك وهو أحب إلى من ابن وهب. ومات معن سنة ١٩٨ هـ وكان ثقة كثير الحديث ثبتاً مأموناً. انظر تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣.

(٤) عبد العزيز بن عبد الله الأويسي المدني شيخ البخاري ثقة جليل. انظر الميزان ج ٢ ص ٦٣٠.

(٥) أبو سلمة من خيار التابعين وكان ثقة فقيهاً كثير الحديث، وعده بعض العلماء من الفقهاء =

قال ابن سعد: ثم حدثنا به معن بن عيسى مرة أخرى بهذا الإسناد أنه رأى أبا سلمة يصبغ بالوسمة.

أخبرنا الفضل بن دكين ومحمد بن عبد الله الأسدي قالا: حدثنا سفيان عن سعد بن إبراهيم قال: كان أبو سلمة بخضب بالوسمة[1].

قلت: والوسمة تجعل الشعر أسود فاحماً. وقد تقدم بيان ذلك عن الأئمة وثبوت خضاب أبي سلمة بالسوادلا مرية فيه عند أهل العلم.

خضاب موسى بن طلحة بن عبيد الله بالسواد:

قال ابن سعد: أخبرنا الفضل بن دكين قال: حدثنا عمرو بن عثمان بن عبد الله بن موهب قال: رأيت موسى يخضب بالسواد. أخبرنا علي بن عبد الحميد المعني، قال: حدثنا عمر بن أبي زائدة قال: رأيت موسى بن طلحة وقد خضب بالسواد، وكان موسى بن طلحة كثير الحديث[2].

خضاب نافع بن جبير بن مطعم بن عدي بالسواد:

قال ابن سعد: أخبرنا الفضل بن دكين قال: حدثني الوليد[3] بن

= السبعة وقد روى عن جابر بن عبد الله وأبي هريرة وابن عمر وابن عباس وغيرهم، وإبراهيم بن سعد المذكور هو أحد الأعلام الثقات، قال الذهبي: إبراهيم بن سعد ثقة بلا ثنيا، وقد روى عنه شعبة مع تقدمه وجلالته انتهى. انظر الميزان ج ١ ص ٣٤.

(١) انظر طبقات ابن سعد ج ٥ ص ١٥٦ ـ ١٥٧، والفضل بن دكين أبو نعيم حافظ حجة قال: أحمد بن حنبل الحجة الثبت. وهو من شيوخ أحمد وأبي زرعة وأبي حاتم والبخاري وغيرهم. انظر تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٢٧٠ وما بعدها. وانظر الميزان ج ٣ ص ٣٥٠.

(٢) انظر طبقات بن سعد ج ٥ ص ١٦٣ وذكر ابن سعد أن موسى توفي سنة ١٠٤ هـ وقيل ١٠٣ هـ.

(٣) الوليد بن عبد الله بن جميع الزهري المكي الكوفي: قال ابن معين والعجلي: ثقة. انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ج ١١ ص ١٣٨ والميزان ج ٤ ص ٣٣٧. وقد تقدم الكلام على ابن دكين.

عبيد الله بن جميع قال: رأيت نافع بن جبير يخضب بالسواد.

أخبرنا عبيد الله[1] بن عبد المجيد الحنفي، قال: أخبرنا عبيد الله[2] بن عبد الرحمن بن موهب، قال: رأيت نافع بن جبير يخضب بالسواد. توفي نافع بن جبير بالمدينة سنة ٩٩ هـ في آخر خلافة سليمان بن عبد الملك وقد روى نافع عن أبي هريرة، وكان ثقة أكثر حديثاً من أخيه. انتهى[3].

خضاب عمرو بن عثمان بن عفان بالسواد:

قال ابن سعد: أخبرنا معن بن عيسى، قال: أخبرنا أبو معشر عن سعيد المقبري، قال: رأيت أبناء صحابة رسول الله ﷺ يصبغون بالسواد منهم عمرو بن عثمان بن عفان. انتهى. وعمرو هذا قد روى عن أبيه، وأسامة بن زيد، وكان ثقة له أحاديث[4].

خضاب عروة بن الزبير:

قال ابن سعد: أخبرنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا محمد بن عمرو قال: كان عروة يخضب قريباً من السواد فلا أدري يجعل فيه وسمة أم لا. انتهى[5]. قلت وعروة بن الزبير من الفقهاء السبعة بالمدينة الذين عنهم انتشر العلم في الأمصار. توفي عروة سنة ٩٤ هـ.

خضاب علي بن الحسين بن أبي طالب بالسواد:

---

(١) عبيد الله بن عبد المجيد الحنفي قال أبو حاتم وغيره ليس به بأس، وقال عثمان الدارمي عن يحيى وأبي حاتم ليس به بأس. انظر الميزان، ج ٣ ص ١٣.

(٢) عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب قال ابن عدي: هو حسن الحديث، ويكتب حديثه، وقال أبو حاتم صالح الحديث. وقد روى الكوسج عن ابن معين: ثقة. انظر الميزان ج ٣ ص ١٣ والكامل لابن عدي ج ٤ ص ١٦٣٦.

(٣) انظر الطبقات الكبرى ج ٥ ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧.

(٤) انظر الطبقات ج ٥ ص ١٥٠ ـ ١٥١.

(٥) المرجع السابق ص ١٨٠.

قال ابن سعد: أخبرنا معن بن عيسى، قال حدثنا عيسى بن عبد الملك عن شريك بن أبي بكر عن علي بن الحسين أنه كان يصبغ بالسواد[1]. وعلي بن الحسين ثقة مأمون كثير الحديث. انتهى. ما جاء في الطبقات الكبرى لابن.

سابعاً: ما جاء في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ.

من خضاب بعض المحدثين والفقهاء بالسواد:

وممن ذكرهم بذلك: زياد بن علاقة، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، والحجاج بن أرطأة، ومحمد بن إسحاق، وغيلان بن جامع. وإليك نص الخطيب كما جاء في تاريخ بغداد:

قال: أخبرني محمد، أخبرنا دعلج، أخبرنا الأبار، حدثنا محمد بن حميد حدثنا جرير قال: رأيت لقيطاً أبيض الرأس واللحية ورأيت زياد بن علاقة يخضب بالسواد... ورأيت أيوب السختياني يخضب بالحمرة. ورأيته بمكة عليه رداء أبيض معلم عريض العلم، وقد تغلف[2] بدهن أسود. ورأيت الحجاج يخضب بالسواد.

ورأيت محمد بن إسحاق يخضب بالسواد.

ورأيت غيلان بن جامع يخضب بالسواد، وكان غيلان بن جامع على قضاء الكوفة، وكان أحمد من ابن أبي ليلى. وكان القاسم بن معن يخضب رأسه ويصفر لحيته. انتهى. ما في الجزء السابع من تاريخ بغداد[3]. وهو الذي اطلعت عليه من الأجزاء وقد يكون ذكر غير هؤلاء ممن كان يخضب بالسواد في الأجزاء الأخرى والله أعلم.

---

(١) انظر الطبقات ج ٥ ص ٢١٧.

(٢) غلف لحيته ورأسه إذا لطخها بالدهن أو بالطيب، ويفهم من ذلك أن أيوب كان يخضب بالحمرة ثم خضب بعد ذلك بالسواد.

(٣) انظر ج ٧ ص ٢٥٥ ـ ٢٥٧.

ثامناً: ما جاء في شرح السنة للبغوي المتوفى سنة ٥١٦ هـ من خضاب بعض الصحابة والتابعين بالسواد:

قال الإمام البغوي في شرح السنّة: قال الشعبي: رأيت الحسن بن علي قد خضب بالسواد. وقال معمر عن الزهري: كان الحسين بن علي يخضب بالسواد. قال معمر: رأيت الزهري يغلف بالسواد، وكان قميصاً، وقال ابن شهاب عن سعد بن أبي وقاص أنه كان يخضب بالسواد، وروى أن أبا سلمة بن عبد الرحمن كان يخضب بالسواد.

وسئل محمد بن علي عن الوسمة فقال: هو خضابنا أهل البيت، وقال معمر عن قتادة: رخص في صباغ الشعر بالسواد للنساء. وعن حماد بن سلمة عن أم شبيب قالت: سألنا عائشة عن تسويد الشعر؟ قالت: لوددت أن عندي شيئاً سودت به شعري، وقال مالك في صبغ الشعر بالسواد: لم أسمع في ذلك بشيء، وغير ذلك من الصبغ أحب إليّ. وترك الصبغ كله واسع للناس. وقال أيوب عن محمد بن سيرين: لا أعلم بخضاب السواد بأساً إلا أن يغر به رجل امرأة[1]. انتهى. ما جاء في شرح السنّة وقد تقدم هؤلاء الذين ذكرهم البغوي.

تاسعاً: ما ذكره النووي في شرح مسلم من خضاب بعض الصحابة بالسواد والتابعين قال: وخضب جماعة بالسواد: روى ذلك عن عثمان والحسن والحسين ابني علي وعقبة بن عامر، وابن سيرين وأبي بردة وآخرين. انتهى[2].

عاشراً: ما جاء في مجمع الزوائد للهيثمي من خضاب بعض الصحافة وبعض التابعين بالسواد:

ما ذكره الهيثمي في خضاب الحسن والحسين بالسواد:

---

(١) انظر شرح السنة ج ١٢ ص ٩٤.

(٢) انظر شرح صحيح مسلم للنووي ج ١٤ ص ٨٠.

عن محمد بن علي أنه رأى الحسن بن علي رضي الله عنهما مخضوباً بالسواد. على فرس ذنوب. قال الهيثمي رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح خلا محمد بن إسماعيل بن رجاء وهو ثقة[1]. عن محمد بن علي أن الحسين بن علي رضي الله عنهما كان يخضب بالسواد.

قال الهيثمي رواه الطبراني ورجاله رجال الذي قبله. وقد روى عنهما عن طرق وهذه أصحها ورجالهما رجال الصحيح[2].

وعن سفيان بن عيينة قال سألت عبيد الله بن أبي يزيد: رأيت الحسين بن علي قال: نعم رأيته جالساً في حوض زمزم قلت هل رأيته صبغ قال: لا، إلا أني رأيت رأسه ولحيته سوداء إلا هذا الموضع يعني عنفقته وأسفل من ذلك بياض، وذكر أن النبي ﷺ شاب ذلك الموضع منه وكان يتشبه به[3].

وعن عبد الرحمن بن برزج قال: رأيت الحسن والحسين ابني فاطمة يخضبان بالسواد، وكان الحسين يدع العنفقة[4]. وعن عبد الله بن أبي زهير قال: رأيت الحسين بن علي يخضب بالوسمة[5]. انتهى. ما ذكره الهيثمي في خضاب السبتين بالسواد.

وأنت أيها القارىء الكريم قد رأيت الآن أن ثبوت خضاب الحسن والحسين بالسواد أمر لا شك فيه لثبوته عنهما بأسانيد صحيحة ثابتة جزم أئمة العلم بصحتها وثبوتها وهي كما رأيت بعضها في مسند الإمام أحمد وبعضها في صحيح البخاري وكتب السنّة والمصنفات وكتب الرجال والآثار والتاريخ ولا ينفي ذلك إلا متعصب معاند، كما إني بتتبعي كتب أئمة العلم

---

(١) انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج ٥ ص ١٦٥.
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق ص ١٦٦.
(٤) المرجع السابق.
(٥) المرجع السابق.

لم أرَ أحداً منهم طعن في هذه الآثار الواردة في خضاب الأخوين الحسن والحسين ولا أحداً أول خضابهما وغيرهما بالسواد بأن المراد به سواد الدهمة بل كانوا ينصون على من خضب، بالسواد بأنه كان بالسواد ومن كان خضابه قريباً من السواد ينصون عليه كما تقدم بيانه في خضاب عروة بن الزبير. ويوضحون نوع الخضاب الذي كان الشخص يخضب به من سواد أو قريب من سواد أو صفرة أو حمرة. ولم يكن هناك إجمال منهم حتى يأتي متعصب ويحمله على ما يوافق هواه ورأيه ويطعن فيمن لم يوافقه.

وأما قول صاحب الرسالة بأن الآثار الواردة في خضاب الحسن والحسين بالسواد مضطربة، وظاهرها التعارض فلم يسبقه إليه أحد من أئمة العلم بل إن الاضطراب والتناقض والتعارض في كلامه هو وفي طريقة عرضه لتلك الآثار.

فقد قال في هذه الآثار الواردة في خضاب الحسن والحسين بالسواد في ص ١٢٦ من رسالته: إن ظاهرها التعارض فتكون مضطربة والاضطراب يوجب ضعفها وعدم الاستدلال بشيء منها على حكم شرعي وعليه يكون الحسن والحسين لم يصبغا بالسواد انتهى. وقد ضعفها هنا ونفى صبغهما بالسواد. وفي ص ١٢٨ عاد وجزم بصحتها وثبوت الخضاب عنهما قال: لم يثبت بالسند الصحيح نسبة خضاب السواد إلى من عزى إليه منهم إلا ثلاثة: الحسن والحسين وعقبة بن عامر. انتهى. ثم عاد في ص ١٣٢ ونفى ثبوت الخضاب بالسواد عنهم فقال: (إن ما ورد من أن الحسن والحسين وغيرهما صبغوا بالسواد فغير مسلم له فليس أحد ممن ذكرهم ثبت أنه خضب به إلا على وجه ضعف أو ورد عليه الاحتمال. انتهى.

وفي ص ١٣٦ من رسالته قال: إنه لم يثبت خضاب أحد من الصحابة بالسواد. انتهى. تناقض غريب، وقديماً قيل من تكلم فيما لا يعلم أتى بالغرائب.

هل ما ثبت في صحيح البخاري ومسند الإمام أحمد وغيرهما من أن رأس الحسين كان مخضوباً بالوسمة عند استشهاده ضعيف؟ وقد جزمت في ص ٩٣ من رسالتك بأن مصبوغ الوسمة أسود. وأن الأقوال اجتمعت على أن الوسمة تجعل المصبوغ بها أسود. وهل الأدلة الثابتة التي ذكرت بعضها في خضاب أولئك الصحابة والتابعين ضعيفة وما هو الضعيف عندك؟.

تناقض لم يسبق له مثيل. وليس لصاحبنا هذا أدنى مستند في نفي ما جزم الأئمة بثبوته من خضاب الحسن والحسين وغيرهما بالسواد وما جاء في صحيح البخاري ومسند الإمام أحمد من أن رأس الحسين كان مخضوباً بالوسمة عند استشهاده رضي الله عنه.

وشبهته فيما زعم أنه تعارض هي قول عبيد الله بن أبي زيد في الحسين: (رأيت رأسه ولحيته سوداء إلا هذا الموضع يعني عنفقته وأسفل من ذلك بياض وذكر أن النبي ﷺ شاب ذلك الموضع منه وكان يتشبه به). انتهى.

قلت: ليس في قول عبيد الله هذا تعارض مع الأحاديث الثابتة التي نصت على خضاب الحسن والحسين بالسواد بل فيه ما يؤكد صبغ الحسين بالسواد لأنه يدل على أن الحسين كان يترك عنفقته ولا يصبغها تشبهاً بالنبي ﷺ، وهذا واضح من قوله: (وذكر أن النبي ﷺ شاب ذلك الموضع منه وكان يتشبه به).

كما جاء تركه رضي الله عنه عنفقته في الخضاب صريحاً في رواية عبد الرحمن بن برزج المتقدم عند ابن أبي شيبة قال: (رأيت الحسن والحسين ابني فاطمة يخضبان بالسواد، وكان الحسين يدع العنفقة). وهذا نص في تركه عنفقته قصداً. كما أن ظهور البياض الذي ذكره عبيد الله تحت الشعر الأسود هو شأن الخضاب بالسواد. كما هو مشاهد اليوم على من يخضب به. وما وقع فيه صاحب الرسالة من تناقض في إثبات خضاب

الحسن والحسين وعقبة بن عامر تارة ونفيه تارة أخرى يرجع إلى عدم تثبته مما ينقله، مع شدة تعصبه لرأيه مما حمله على سب وشتم من خالفه ووصفه بالجهل والظلم وعدم الحياء والخجل، والطعن في آثار صحيحة ثابتة وتصحيح آثار ضعيفة جداً أو موضوعة وجزمه بثبوتها عن رسول الله ﷺ.

ما جاء في مجمع الزوائد من خضاب عقبة بن عامر بالسواد:

وعن أبي عشانة أنه رأى عقبة بن عامر يخضب بالسواد ويقول: نسود أعلاها وتأبى أصولها. وكان شاعراً. قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح خلا أبا عشانة وهو ثقة. انتهى[1].

قلت تقدم هذا الحديث فيمن ذكرهم ابن أبي شيبة وأن سنده صحيح يرويه ثقة عن ثقة. وقد تقدم أيضاً خضاب سعد بن أبي وقاص بأسانيد صحيحة ثابتة من رواية ابن سعد في الطبقات. وفي المستدرك للحاكم. تقدم ذكر ذلك كله. وقد أشبعت الكلام عليه.

خضاب عمرو بن العاص بالسواد:

جاء خضاب عمرو بن العاص في المستدرك للحاكم وذكره أيضاً الهيثمي بطريق آخر من رواية الطبراني.

قال الحاكم: (حدثنا عبد الصمد بن علي، ثنا أبو الأحوص القاضي، ثنا سعيد بن أبي مريم قال أخبرني عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن عبد الرحمن بن الحارث عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى عمرو بن العاص وقد سود شيبه فهو مثل جناح الغراب فقال: ما هذا يا أبا عبد الله؟ فقال: يا أمير المؤمنين أحب أن ترى في بقية فلم ينهه عمر رضي الله عنه عن ذلك ولم يعبه

(١) انظر مجمع الزوائد ج ٥ ص ١٦٥.

عليه)[1]. قلت: رواة هذا الحديث من الأعلام، فعبد الصمد ثقة محدث[2]. أبو الأحوص القاضي محمد بن الهيثم البغدادي ثقة حافظ من الأثبات المتقنين، ثقة مأمون حافظ[3]. سعيد بن أبي مريم الجمحي ثقة ثبت فقيه. وعبد الرحمن بن أبي الزناد المدني أبو محمد. قال الذهبي: أحد العلماء الكبار وأخير المحدثين لهشام بن عروة وقد وثقه مالك. قال سعيد بن أبي مريم: قال لي خالي موسى بن سلمة: قلت: لمالك: دلني على رجل ثقة. قال: عليك بعبد الرحمن بن أبي الزناد. انتهى[4] قال عبد الله بن علي بن المديني عن أبيه: ما حدث بالمدينة فهو صحيح، وما حدث ببغداد أفسده البغداديون. . . ، وقال أحمد فيما حكاه الساجي: أحاديثه صحاح. قال ابن معين فيما حكاه الساجي: عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن الأعرج عن أبي هريرة حجة، وقال الآجري عن أبي داود كان عالماً بالقرآن عالماً بالأخبار، وقال الترمذي والعجلي ثقة. انتهى[5].

قال ابن عدي: وهو ممن يكتب حديثه[6]. قال الذهبي بعد ذكر كلام العلماء فيه: (قلت: مشاه جماعة وعدلوه، وكان من الحفاظ المكثرين، ولا سيما عن أبيه وهشام بن عروة، حتى قال يحيى بن معين: هو أثبت الناس في هشام. انتهى[7].

عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش المدني.

قال ابن معين صالح وقال أبو حاتم شيخ. وذكره ابن حبان في

---

(١) انظر المستدرك ج ٣ ص ٤٥٤.

(٢) انظر سير أعلام النبلاء ج ١٥ ص ٥٥٥.

(٣) انظر تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٤٩٨ ـ ٤٩٩.

(٤) الميزان ج ٢ ص ٥٧٥ ـ ٥٧٦.

(٥) انظر تهذيب التهذيب ج ٦ ص ١٧١ ـ ١٧٢ وقد ذكر أيضاً من تكلم فيه.

(٦) انظر الكامل لابن عدي ج ٤ ص ١٥٨٧.

(٧) انظر الميزان ج ٢ ص ٥٧٦.

الثقات وقال ابن سعد كان ثقة. انتهى[1].

وبهذا تعلم ثبوت هذا الحديث، وأن المبررات التي ذكرها صاحب الرسالة لتضعيف هذا الحديث غير صحيحة. فوجود عبد الرحمن بن أبي الزناد وعبد الرحمن بن الحارث في سنده ليس علة قادحة فيه. لما تقدم بيانه.

وأما الأثر الذي روى من طريق ابن لهيعة عن أبي قبيل من أن عمر قال لعمرو بن العاص عهدي بك شيخاً وأنت اليوم شاب عزمت عليك إلا خرجت فغسلت هذا السواد، فليس بثابت بسند معروف، ففي سنده ابن لهيعة وأبو قبيل. وهما ضعيفان لا تقبل رواية واحد منهما عند الانفراد كما اعترفه به صاحب الرسالة نفسه في ص ١٢١ من رسالته. كما أن أبا زكريا الذي في سنده اعترف صاحب الرسالة بأنه لم يقف عليه. وكان الواجب عليه عدم ذكر مثل هذا الأثر غير الثابت الذي اعترف هو بضعفه وعدم معرفة من في سنده. وقد خرم قاعدته: (لا يجوز الاستدلال بالخبر إلا بعد ثبوته بسند معتبر شرعاً). كما أن هذا الأثر على تقدير ثبوته لا يدل على تحريم الخضاب بالسواد. وأما قول صاحب الرسالة: إن عمرو بن العاص هو راوي ما سماه الحديث الحادي عشر بلفظ (نهى عن خضاب السواد) وأن هذا مما يبطل نسبة الخضاب بالسواد إلى عمرو، فقول غريب جداً لأن الحديث الذي أشار إليه لم يثبت قطعاً عن عمرو بن العاص بسند وسنده منقطع فعمرو بن شعيب لم يدرك عمرو بن العاص حتى يروى عنه.

وفي سنده أيضاً رجل متروك الحديث لا يساوي حديثه شيئاً وهو المثنى بن الصباح. إذاً كيف يستدل بمثل هذا على نفي ما ثبت بإسناد عن الثقات. أمره غريب ومن تكلم فيما لا يعلم أتى بالغرائب.

وقد جاء خضاب عمرو بن العاص بالسواد أيضاً بإسناد آخر. قال الهيثمي في مجمع الزوائد:

---

(١) انظر تهذيب التهذيب ج ٦ ص ١٥٦.

وعن عبد الله بن عمرو أن عمر بن الخطاب رأى عمرو بن العاص وقد سود شيبه فهو مثل جناح الغراب، فقال: ما هذا يا أبا عبد الله، فقال: يا أمير المؤمنين أحب أن يرى في بقية فلم ينهه عن ذلك ولم يعبه عليه.

قال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه راوٍ لم يسم، قال سعيد بن أبي مريم حدثني من أثق به وعبد الرحمن بن أبي الزناد. وبقية رجاله ثقات. انتهى[1]. وقول الهيثمي (فيه راوٍ لم يسم. لا يقدح فيه لأنه في رواية الحاكم قد سمي جميع الرواة. والله أعلم.

ويؤكد صحة ما جاء في المستدرك والطبراني من أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم ينه عمرو بن العاص ولم يعب عليه خضابه بالسواد: ما ذكره ابن بطال المتوفى سنة ٤٤٤ هـ في شرح البخاري ونقله العيني في عمدة القارىء من أن عمر بن الخطاب كان يأمر بالخضاب بالسواد ويقول: هو تسكين للزوجة وأهيب للعدو[2]. وقد تقدم هذا.

نص كلام ابن القيم في زاد المعاد المبين لموقفه الأخير:

مما ورد في الخضاب بالسواد:

قال ابن القيم: (إن الخضاب بالسواد المنهي عنه خضاب التدليس كخضاب شعر الجارية والمرأة الكبيرة تغر الزوج والسيد بذلك، وخضاب الشيخ يغر المرأة بذلك. فإنه من الغش والخداع، فأما إذا لم يتضمن تدليساً ولا خداعاً فقد صح عن الحسن والحسين رضي الله عنهما أنهما كانا يخضبان بالسواد.

ذكر ذلك ابن جرير عنهما في كتاب تهذيب الآثار، وذكره عن عثمان بن عفان وعبد الله بن جعفر وسعد بن أبي وقاص وعقبة بن عامر.

---

(١) انظر مجمع الزوائد ج ٥ ص ١٥٦.

(٢) نقل السهيلي ذلك في الروض الآنف عن ابن بطال ج ٢ ص ١٧٠ وانظر ما ذكره العيني في عمدة القاري ج ٢٢ ص ٥١.

والمغيرة بن شعبة، وجرير بن عبد الله، وعمرو بن العاص رضي الله عنهم أجمعين.

وحكاه عن جماعة من التابعين منهم: عمرو بن عثمان، وعلي بن عبد الله بن عباس. وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وعبد الرحمن بن الأسود، وموسى بن طلحة، والزهري، وأيوب، وإسماعيل بن معد يكرب رضي الله عنهم أجمعين.

وحكاه ابن الجوزي: عن محارب بن دثار، ويزيد، وابن جريج - راوي حديث جابر - وجنبوه السواد -، وأبي يوسف، وأبي إسحاق، وابن أبي ليلى، وزياد بن علاقة، وغيلان بن جامع، ونافع بن جبير، وعمرو بن علي المقدمي، والقاسم بن سلام رضي الله عنهم أجمعين. انتهى[1].

هذا ما حكاه ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد من خضاب هؤلاء الصحابة والتابعين بالسواد وهم من خيار الصحابة والتابعين، وقد ذكر خضابهم بالسواد أئمة العلم قبل ابن القيم بل قبل ابن جرير وابن الجوزي اللذين حكى ابن القيم عنهم خضابهم بالسواد.

بتتبعي كلام ابن القيم في كتابيه زاد المعاد وتهذيب سنن أبي داود، فيما ورد في الخضاب بالسواد. اتضح لي ما يلي:

أولاً: وجدت أن ابن القيم قد أشبع الكلام على الخضاب بالسواد في كتابه زاد المعاد أما في تهذيب سنن أبي داود فلم يذكر إلا شيئاً قليلاً عن الخضاب بالسواد.

ثانياً: أنه في كلامه في زاد المعاد على الخضاب بالسواد كان جازماً بثبوت الخضاب بالسواد عمن ذكرهم من الصحابة والتابعين غير متردد في ثبوت ذلك عنهم. أما في تهذيب السنن فإنه كان متردداً في صحة ثبوت ذلك عنهم.

---

(١) انظر زاد المعاد لابن القيم ج ٣ ص ١٨٣ - ١٨٤.

ثالثاً: ظهر لي بعد تتبع زاد المعاد أن ابن القيم رحمه الله ألفه بعد كتاب تهذيب سنن أبي داود ومما يدل على ذلك أنه قال في ج ١ ص ٣٩ من زاد المعاد في كلامه على هديه ﷺ في النكاح ومعاشرته ﷺ أهله قال في آخر هذا الفصل: (وقد أشبعنا الكلام عليه في كتاب تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته).

وهذا صريح في أنه ألف كتاب تهذيب السنن قبل زاد المعاد وإلا ما أرجع إليه غيره. وقد ذكر في مواضع كثيرة ما يدل على أن زاد المعاد بعد تهذيب السنن.

وهذا يؤكد أن كلامه على الخضاب بالسواد في زاد المعاد هو رأيه الأخير. فقول ابن القيم في زاد المعاد هو الصحيح لجزمه بصحة ما ورد عن الصحابة والتابعين في جواز الخضاب بالسواد، أما قوله المتقدم في تهذيب السنن، فهو متردد في ثبوت ذلك عنهم لقوله: (وفي ثبوته عنهم نظر)، وبهذا يرد على قول صاحب الرسالة (بأن تصحيح ابن القيم لخضاب الحسن والحسين وغيرهما بالسواد في زاد المعاد فقد أجاب عنه هو بنفسه في تهذيب سنن أبي داود...) هذا القول غير سليم لما ذكرناه من أن زاد المعاد بعد تهذيب السنن، بل الصحيح أن يقال إن كلامه في زاد المعاد هو الراجح وهو المعتمد عنده. وعلى تقدير صحة ما ذكره صاحب الرسالة نقول: إن تردد ابن القيم في تهذيب السنن في ثبوت بعض تلك الآثار في خضاب بعض الصحابة بالسواد لا ينفي جزم أئمة العلم الذين قبله بصحة ثبوت تلك الآثار عن الصحابة والتابعين في خضابهم بالسواد وجواز ذلك وكم من خبر تردد في ثبوته عالم وجزم بصحته عالم آخر.

رابعاً: إن كلام ابن القيم رحمه الله وموقفه في زاد المعاد في الخضاب بالسواد يتفق مع موقف الأئمة الذين روى هو عنهم تلك الأخبار التي جزم بصحتها وثبوت الخضاب بالسواد عن الحسن والحسين مستدلاً بذلك على جوازه إذا خلا من التدليس والغش والخداع.

قال المباركفوري بعد ذكر ما حكاه ابن القيم عن ابن جرير وابن الجوزي في خضاب بعض الصحابة والتابعين ومن بعدهم بالسواد: (قلت: وكان ممن يخضب بالسواد ويقول به محمد بن إسحاق صاحب المغازي والحجاج بن أرطأة والحافظ ابن أبي عاصم وابن الجوزي ولهما رسالتان مفردتان في جواز الخضاب بالسواد، وابن سيرين وأبو بردة، وعروة بن الزبير، وشرحبيل بن السمط، وعنبسة بن سعيد وقال: إنما شعرك بمنزلة ثوبك فأصبغه بأي لون شئت وأحبه إلينا أحلكه. انتهى[1].

ما جاء في كتب أئمة العلم:

من خضاب عثمان بن عفان رضي الله عنه بالسواد:

قد ورد ذكر خضاب عثمان رضي الله عنه في زاد المعاد حكاه ابن القيم عن ابن جرير الطبري من كتاب تهذيب الآثار. وقد تقدم نص ما ذكره. وذكره أيضاً النووي في شرح مسلم وقد تقدم. وذكره العيني في عمدة القاري كما ذكر أن عمر بن الخطاب كان يأمر به، وإليك نص كلامه:

قال: وذكر ابن أبي عاصم بأسانيد: أن حسناً وحسيناً رضي الله تعالى عنهما كانا يختضبان به أي بالسواد وكذلك ابن شهاب، وقال أحبه إلينا أحلكه، وكذلك شرحبيل بن السمط، وقال عنبسة بن سعيد إنما شعرك بمنزلة ثوبك فأصبغه بأي لون شئت وأحبه إلينا أحلكه، وكان إسماعيل بن أبي عبد الله يخضب بالسواد، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يأمر بالخضاب بالسواد، ويقول: هو تسكين للزوجة وأهيب للعدو.

وعن ابن أبي مليكة: أن عثمان كان يخضب به وعن عقبة بن عامر والحسن والحسين أنهم كانوا يختضبون به، ومن التابعين علي بن عبد الله بن عباس وعروة بن الزبير وابن سيرين وأبو بردة. انتهى[2].

(١) انظر تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي لمباركفوري ج ٥ ص ٤٣٩.

(٢)، انظر عمدة القاري ج ٢٢ ص ٥١.

وذكر خضاب عثمان بالسواد أيضاً المباركفوري في تحفة الأحوذي[1].

وذكره أيضاً الشوكاني في نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار[2]. وذكره أيضاً ابن مفلح الحنبلي في الآداب الشرعية. وذكره أيضاً الكاندهلوي في أوجز المسالك إلى موطأ مالك نقلاً عن المحب الطبري قال: قال المحب الطبري: وقد رخص فيه إسحاق، وقد سئل محمد بن علي عن الوسمة فقال: هي خضابنا أهل البيت. وكان يخضب بالسواد عثمان وسعد بن أبي وقاص، وعد جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين ممن كانوا يخضبون بالسواد. انتهى[3].

وبهذا يتبين أن ستة من العلماء ذكروا خضاب عثمان بن عفان في كتبهم نقلاً عمن قبلهم من أئمة العلم من السلف الصالح وهم: النووي في شرح مسلم. ابن القيم في زاد المعاد نقلاً عن تهذيب الآثار لابن جرير، وابن مفلح في الآداب الشرعية، العيني في عمدة القارىء شرح البخاري. الشوكاني في نيل الأوطار. الكاندهلوي في أوجز المسالك.

والقصد من إيراد هذه النصوص الصحيحة الثابتة من مصنفات أئمة العلم الدالة على جواز الخضاب بالسواد وبيان من خضب به من خيار هذه الأمة من الصحابة والتابعين ـ القصد من ذلك بيان ما يلي:

١ ـ بطلان دعوى عدم ثبوت الخضاب بالسواد عمن ذكره أئمة العلم من الصحابة والتابعين.

٢ ـ أن من كان يخضب بالسواد منهم إنما كان يخضب بالسواد الحقيقي لا الدهمة وأنه لم يثبت عن أحد من أئمة العلم تأويل خضابهم بالسواد

---

(١) انظر تحفة الأحوذي ج ٥ ص ٤٣٩.

(٢) انظر نيل الأوطار ج ١ ص ١٤١.

(٣) انظر أوجز المسالك إلى موطأ الإمام مالك ج ١٥ ص ٢٦.

(٤) انظر التحفة ج ٥ ص ٤٢٨.

بالدهمة وأن ما ذكره صاحب الرسالة هو مجرد تأويل منه لتأييد رأيه.

٣ ـ بيان أنه ليس هناك تعارض بين ما ثبت في الصحيح عن أولئك الأئمة من إباحة الخضاب بالسواد وما ثبت عن بعضهم أنه كان يخضب بغير السواد أو قريباً من السواد.

وأما وصف صاحب الرسالة من نسب صبغ السواد إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه بالجهل والظلم[1] ومن نسبه إلى عثمان بذلك فلا يليق.

٤ ـ بيان أنه قد خط بالقلم قبلي أئمة العلم والهدى في مصنفاتهم بجواز الخضاب بالسواد ومنهم من ألف في ذلك ولم يقل أحد من المسلمين أنهم خطوا بأقلامهم بلا حياء ولا خجل كما وصف به صاحب الرسالة من خالفه في رأيه.

تنبيه هام:

ما ورد من خضاب بعض الصحابة وبعض التابعين والمحدثين والفقهاء بالسواد وما ورد عن بعض هؤلاء من أنه كان يخضب بالسواد وتارة يذكر بعض الرواة أنه كان يخضب بالصفرة أو بالحمرة أو قريباً من السواد لا يعتبر تعارضاً ولا تناقضاً بين ما يذكر عنه في ذلك، لأن الشخص الواحد قد يخضب بالسواد ثم يتركه ويخضب بغيره وقد يخضب في أول الأمر بالسواد ثم يتركه وقد يخضب بالحمرة ثم يتركها ويخضب بالسواد، كما ذكر جرير عن أيوب السختياني قال: رأيت أيوب السختياني يخضب بالحمرة، ورأيته بمكة عليه رداء أبيض معلم عريض العلم. وقد تغلف بدهن أسود). وقد تقدم هذا فيمن ذكرهم الخطيب البغدادي ممن كان يخضب بالسواد. فكل راوٍ يحكي ما شاهده من حال الشخص، وكما هو واقع الحال المشاهد على كثير من الناس اليوم بل الخاضب بالسواد نفسه

---

(١)) انظر ص ١٠٥ من رسالته.

بعد مرور أيام قليلة على خضبه بالسواد يبدأ الاحمرار يظهر على شعره ثم يعقبه البياض على أصوله. فما يرويه الراوي بأنه رأى فلاناً يخضب بالسواد ثم الراوي الآخر يراه خاضباً بالحمرة أو غيرها ليس تضارباً ولا تعارضاً كما قد يظنه من لا يعرف أصول التعارض والترجيح. والخضاب كله ليس واجباً وإنما هو من العادات المسنون في جنسها، وقد تركه كثير من أفاضل الأمة.

قال النووي: قال القاضي: اختلف السلف من الصحابة والتابعين في الخضاب وفي جنسه، فقال بعضهم: ترك الخضاب أفضل ورووا حديثاً عن النبي ﷺ في النهي عن تغيير الشيب، لأنه ﷺ لم يغير شيبه روى هذا عن عمر وعلي، وأبي وآخرين رضي الله عنهم.

وقال آخرون: الخضاب أفضل وخضب جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم للأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره.

ثم اختلف هؤلاء فكان أكثرهم يخضب بالصفرة منهم ابن عمر وأبو هريرة وآخرون. وروى ذلك عن علي[1] وخضب جماعة منهم بالحناء والكتم، وبعضهم بالزعفران. وخضب جماعة بالسواد روى ذلك عن عثمان والحسن والحسين ابني علي وعقبة بن عامر وابن سيرين وأبي بردة وآخرين... إلى أن قال: قال: واختلاف السلف في فعل الأمرين بحسب اختلاف أحوالهم في ذلك مع أن الأمر والنهي في ذلك ليس للوجوب بالإجماع ولهذا لم ينكر بعضهم على بعض خلافه في ذلك. قال: ولا يجوز أن يقال فيهما ناسخ ومنسوخ. قال القاضي. وقال غيره هو على حالين، فمن كان في موضع عادة أهل الصبغ أو تركه فخروجه عن العادة شهرة ومكروه.

---

(١) قال عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب العلل ومعرفة الرجال لأبيه روايته عنه في ج ١ ص ٢٦١: حدثني أبي قال حدثنا إسحاق بن الطباع، قال: رأيت مالك بن أنس لا يخضب فسألته عن تركه الخضاب، فقال: بلغني أن علياً كان لا يخضب. انتهى.

والثاني: أنه يختلف باختلاف نظافة الشيب، فمن كانت شيبته تكون نقية أحسن منها مصبوغة فالترك أولى. ومن كانت شيبته تستبشع فالصبغ أولى. انتهى[1].

قلت: إن ما حكاه النووي عن القاضي والطبري من أن السلف من الصحابة والتابعين بعد اختلافهم في الخضاب وفي جنسه لم ينكر بعضهم على بعض خلافه في ذلك هو الصحيح، فإن الصحابة والتابعين قد اختلف نوع خضابهم. فمنهم من ترك الخضاب كله، ومنهم من خضب بالحمرة ومنهم من خضب بالسواد، ومنهم من خضب بالصفرة ومنهم من خضب قريباً من السواد بالحناء والكتم. ولم يثبت عنهم أنهم كانوا ينكرون على بعضهم خلافه في ذلك، كما جزم بذلك القاضي ونقل عدم إنكار الصحابة بعضهم على بعض أيضاً عن الطبري الشوكاني في نيل الأوطار[2]. ونقله أيضاً المباركفوري في تحفة الأحوذي[3] في أدلة المجوزين، ونقل عدم الإنكار أيضاً الحافظ الموصلي المتوفي سنة ٦٢٣ هـ في كتابه المغني عن الحفظ والكتاب[4]. ويدل على عدم إنكار الصحابة بعضهم على بعض في ذلك ما تقدم في رواية الحاكم في المستدرك. وما جاء في رواية الطبراني من أن عمر بن الخطاب لم ينكر على عمرو بن العاص حين رآه وقد خضب بالسواد، وعلى من يدعي ثبوت إنكار بعضهم على بعض أن يثبته لنا بسند صحيح.

---

(١) انظر شرح صحيح مسلم للنووي ج ١٤ ص ٨٠ وانظر أيضاً نيل الأوطار ج ١ ص ١٤١.

(٢) ج ١ ص ١٤١.

(٣) ج ٥ ص ٤٢٨.

(٤) ص ٤٢ المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٤٢ هـ.